الذرة

معقل الروح

كل إنسان يهوى أن يعرف مصير روحه بعد موته وتهدم هيكلها المادي (الجسم) ولذا فإن بحوث الروح والبقاء بعد الفناء وكيفيتهما ، تستهوي لب الإنسان وتسترعي انتباهه فلا يترك ملاحظة عنها إلا ويقرأها علها تروي غلته . ولقد طرق ولا يزال يطرق موضوعها الكثير من العلماء والفلاسفة كما قرأنا ووعينا - على قدر فهمنا - في المقتطف الأغر ومن طرق - بحث الروح - أو البقاء بعد الموت - بأسلوب فلسفي مبني على العلم الطبيعي العلامة المرحوم الدكتور يعقوب صروف . وها أني أوجز رأيه كما قرأته من مدة بعيدة .

كان الدكتور (يعقوب) مسافراً في القطار في باريس . وكانت تأتيه وهو يحرر المقتطف كثيراً من المشاهدات الروحانية التي يدعي أصحابها بأنهم شاهدوا أشخاصاً أمواتاً في أوقات مختلفة وما فتئوا أن غابوا عن بصره . وعلاوة على هذا معرفة الدكتور مما يطالع عن علم الأرواح . كل هذه المشبهات أثارت خياله الوثاب المبني على العلم الصحيح فقال في نفسه . أمن المعقول أن يبني مثال تمثالاً ويهدمه بنفسه ؟ لا شك أن لا يقدم على مثل هذا إلا الأطفال لأنهم طالما يخربون ما بنوا لمجرد رغبة ملحة أو طارئة . وينزه عن هذا البارىء الأعظم أو المثال الأعلى . وإذن فلا بد وأن يتحول الانسان من حال الى حال ، كما يجوز أن يحور المثال تمثاله من شكل الى آخر . وعلى هذا القياس من الاستقراء قرر الدكتور بأن الجسم المادي يتحلل ويبقى الجسم الروحي ملبساً ثوب ألكتروني لا تراه الأبصار طبعاً ، ولكن أصحاب الحس المرهف أو من يحدث فيهم في وقت من الأوقات حس مرهف ، قد يرون هذا الشخص الالكتروني وعندما يرجع حسهم لطبيعته يغيب عنهم هذا الروح . وعلى هذه النتيجة قال الدكتور قصيدته التي يحضرني منها هذان البيتان .

سيعون حولاً لقد مرّت فما وجدت ... نفسي مقرّاً لها في العالم الفاني

فرسان إما بناء والفناء له ... أمر وإما بقاء شاءه الباني

ومن طرق المرحوم ذاته العلامة (السر أوليفر لودج) مدير جامعة كيردج ومخترع مستقبل لودج في اللاسلكي والمتوفى منذ بضع سنوات خلت . وكان الدافع للعلامة المذكور رغبته في اثبات وجود الأثير الذي أنكره (انشتين) كما أنكرته تجربة (مورلي ميكلسن).

وأما نظريته فتتلخص في أن كل جسم سواء أكان حيًّا أم جامداً مركباً من ذرّات ويوجب تساوي أعدادها وأوزانها أو تساوي أعدادها واختلاف أوزانها الذرية لتكوّن العناصر المختلفة وتتناظر . ولكن الشيء المؤكد عليًّا أن ذرّات كل عنصر متساوية وهي مكونة من ألكترونات (ذات شحنة سالبة) وبروتونات (ذات شحنة موجبة) فالبروتونات تؤلف نواة الذرة والالكترونات تدور حولها . ولما كانت ألكترونات وبروتونات كل ذرّة من ذرّات أي عنصر لا يمكن أن تتلامس لأنها تتنافر (حسب قوانين الكهربية) وإذن فكيف يحس الفرد بالحرارة والبرودة وذرّات أعصابه غير متصلة بل متفككة ولو بنسبة ضئيلة جدًّا ؟ فمن هذه النقطة عبر (السر أوليفر لودج) على جسر الأثير من العلم الى الفلسفة وقرّر بأن لابدّ وأنّ الجسم المالىء لهذا الفراغ هو الأثير وهو الذي فيه المادّة الحية الحساسة (الروح) واعتقد بمناجاة الأرواح وبقاء الشخصية بعد الموت وألّف كتاباً عن مناجاة ابنه (ريموند) الذي قتل في الحرب الكبرى . ولكنه لا يعتقد بالوسطاء والمناجين لأنه يعتبرهم دجالين مشعوذين .

ولقد قرأت في مقتطف نوفمبر ١٩٤٧ بحثاً طريفاً في كيمياء النظائر للأستاذ فؤاد جيحان وفيه يقول أن نوى الذرات ليست مؤلفة من بروتونات فقط بل من كهارب موجبة (ألكترونات) ونوترونات وهي جسيمات خالية من كل شحنة كهربائية وان اختلاف النظائر ما هو الا اختلاف في عدد النوترونات في نواها . واذن ألا يمكن أن نقول الآن بأن ذرات الأجسام متماسكة وليس بينها فراغ مطلقاً وان قوانين تماسكها هي النوترونات لأنها خالية من كل شحنة كهربائية ، ولذا فيجوز اتصالها بعضها ببعض حسب قانون الآلفة الكيميائية . وإذا ما سلمنا بذلك ألا يصح أن نعتبر النوترونات هي الوسيط الموصل لامواج الصوت والحرارة والكهربائية في الأجسام ، كما انها معقل المادة الحية في الاجسام الحية الحساسة وعلى صفحتها يرتكز العقل والشعور ، وان تهدمها أو انطلاقها أو تفككها لبعضها يسبب الموت وفيضان المادة الحية منها . أو انها تنفصل ككتلة عامة محتوية على الروح مكوّنة الجسم الروحي الذي تحدث عنه الاستاذ ؟ فهي أثيرية ؟! هذه نظرة أرسلتها على ضوء العلم الحديث وإني لمعتقد تمام الاعتقاد أنّ سر الحياة في الذرة وفي قسم النوترونات منها . كما أني يحسن بي أن أبين للقارىء بأني لست من الاختصاصيين في الطبيعة ولكن عندي ميل لها واقرأ كما يقرأ الناس وقد أفهم مثلهم وأنّ هذه النتيجة معروضة للارشاد والتمحيص وتذييلاً قيل خذ الحكمة من أي إناء خرجت . وكذلك قال الشاعر

خذ عن الهم حكمة أو حصافة ... ممتها حكاية أو خرافة

البعرة ... ميشيل شيل السعد